

هل القتال القائم بين الكتائب المجاهدة وتنظيم الدولة قتال فتنة؟

الكاتب : مجموعة من الروابط والهيئات العلمية والدعوية السورية

التاريخ : 1 فبراير 2014 م

المشاهدات : 7253



السؤال:

هل القتال الدائر الآن بين بعض الكتائب المجاهدة في سوريا و"تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" قتال مشروع أم هو فتنة؟ أرجو تبيين هذا الأمر، لأنه سبب بلبلة وخلافاً بين بعض الكتائب، فمنهم من تصدى لتنظيم الدولة، ومنهم من اعتزل ذلك تحراجاً وتأثماً.

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلوة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد ساعنا وسأء كل غيور انشغال الكتائب المجاهدة في أرض الشام عن مقارعة النظام المجرم بهذا القتال الذي ذكرت، وإنَّه لأمر تدمع له العين، ويحزن له القلب، ولكنها حكمة الله تعالى؛ ليميز الخبيث من الطيب، وليمحص المؤمنين، ويتحقق أهل الكفر والبدع والضلال.

أما سؤالكم إن كان هذا القتال من جنس قتال الفتنة في بيانه كالتالي:

أولاً: دلت النصوص الشرعية وكلام أهل العلم على أنَّ قتال الفتنة هو القتال الذي ينشب بين طائفتين من المسلمين كلتاهم على باطل، أو يلتبس فيه أمرهما، فلا يعلم المُحق من المُبطل، أو يتقاتلان لمغانم دنيوية.

فالدخول في هذا القتال منهي عنه، وقد أمرنا باعتزاله وعدم المشاركة فيه بأي حال من الأحوال، وهو المقصود بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا لَقِيَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيِّئَتِهِمَا فَاقْتُلُوهُمْ وَلَا مَرْجُوكُلُ فِي النَّارِ)) متفق عليه.

قال الجصاص - رحمة الله - في "أحكام القرآن" تعليقاً على هذا الحديث: "فَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ إِذَا قَصَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَةً ظُلْمًا عَلَى نَحْوِهِ مَا يَفْعَلُهُ أَصْحَابُ الْعَصَبَيَّةِ وَالْفِتْنَةِ".

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه الفتنة: ((فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا، فَلَيَعْذِذْ بِهِ)) متفق عليه.

قال النووي - رحمة الله - في "شرح صحيح مسلم": "الْتَّأْوِيلُ الْأَحَادِيثُ عَلَى: مَنْ لَمْ يَظْهُرْ لَهُ الْحَقُّ، أَوْ عَلَى طَائِفَتَيْنِ طَالِمَتَيْنِ لَا تَأْوِيلٌ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا".

أما قتال من ظهر ظلمهم وبغيهم وعدوانهم وصيالهم على النفس والمال، فهو قتال مشروع؛ لكتف شرهم ودفع أذاهم.

قال الطبرى رحمة الله: "لَوْ كَانَ الْوَاجِبُ فِي كُلِّ اخْتِلَافٍ يَكُونُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْهَرَبَ مِنْهُ وَلُزُومُ الْمَنَازِلِ ، لَمَّا أُقِيمَ حَقُّ، وَلَا أُبْطِلَ بَاطِلٌ" نقله عنه القرطبي في تفسيره.

وقال ابن بطال - رحمة الله - في "شرحه ل الصحيح البخاري": "فَأَمَّا إِذَا ظَهَرَ الْبَغْيُ فِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، لَمْ يَحْلِّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْ قَتْلِ الْبَغْيِ لَبَطْلَتْ فِرِيْضَةُ اللَّهِ تَعَالَى".

ثانياً: منذ اليوم الأول من إعلان تنظيم "دولة العراق الإسلامية" ضم الشام إلى دولتهم المزعومة، والمصابيح تتولى على أهل الشام من جراء أعمال وتصرفات هذا التنظيم.

حيث يتصرف أمراؤهم وقادتهم في البلاد على أنَّهم الدولة الحاكمة المسيطرة التي يجب على الجميع الخضوع لحكمها وقراراتها.

وانشغلوا باحتلال المناطق المحررة وتثبيت أركانهم عن الثغور، وأظهروا الغلو في التكفير، وأشاعوا التخوين والاتهام بالصلوات" لمن يخالف منهجهم أو لا يقبل بدولتهم!.

فكفروا الكتائب المجاهدة، وسفكوا الدم الحرام، واستحلوا أخذ أموال المسلمين بحجة قتال الجماعات المنحرفة، وأشغلوا الناس عن مقارعة النظام، ونشروا الحواجز التي ضيقَت على الناس معاشهم وامتحنتهم في عقائدهم ودينهم، فأشاعوا الخوف وعدم الاستقرار.

ولما دعاهم المجاهدون إلى التحاكم لشرع الله من خلال محاكم مستقلة، ماطلوا وأبوا وزادوا في غبهم، فلا يكاد يمرُّ يوم إلا ونسمع خبر اعتقال أو سفك دم لخيرة المجاهدين والإغاثيين والإعلاميين، بادعاءات وشبهات لا دليل عليها.

فهؤلاء جمعوا أوصافاً شنيعة، كل منها كاف في نفي صفة الفتنة عن قتالهم، فكيف بجتماعها:

الوصف الأول: الاعتداء على معصومي الدم والمال، وقد شرع الله رد الاعتداء بمثله، قال تعالى: {فَمَنِ اعْتَدَ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَ عَلَيْكُمْ وَأَتَقْوُا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [سورة البقرة: 194].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)) رواه أبو داود، والترمذى.

الوصف الثاني: البغي، فإذا كانت الفتنة الباغية يُشرع قتالها لمجرد بغيها، فكيف بمن جمع بين البغي والغلو والتطرف بغير حق، قال تعالى: {وَإِنَّ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ افَتَّلُو فَأَصْلِحُو بَيْنَهُمَا إِنْ يَعْتَدْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُو الْأَيْتَيْنِيْنِ حَتَّى تَقْيَءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُو بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ} [سورة الحجرات: 9].

قال القرطبي - رحمه الله - في "تفسيره": "في هذه الآية دليل على وجوب قتال الغنة الباغية المعلوم بغيها على الإمام، أو على أحد من المسلمين".

الوصف الثالث: الاجتماع على الباطل والامتناع من الانقياد للحق.

قال ابن تيمية - رحمه الله - في "الفتاوى": "وقد انفق علماء المسلمين على أن الطائفة الممتنعة إذا امتنعت عن بعض واجبات الإسلام الظاهرة المُتوافرة، فإنَّه يجُب قتالها إذا تكلموا بالشهادتين، وامتنعوا عن الصلاة، والزكاة، أو صيام شهر رمضان، أو حجَّ النبي العتيق، أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنن، أو عن تحريم الفواحش... وتحوِّل ذلك من شرائع الإسلام، فإنَّهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لـه".

فإنهم لما دعوا مراراً للتحاكم للشرع من خلال محاكم شرعية مستقلة أتوا وامتنعوا بما عندهم من الشوكة، مما أدى إلى تعطيل الحكم في الدماء والمنازعات التي جرت بينهم وبين القوى الثورية الأخرى من كتائب وغيرها.

الوصف الرابع: مشابهة أفعالهم لأفعال الخوارج الأولين، الذين أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقتالهم، فقد اجتمع في هؤلاء من صفات الخوارج من تكفير المخالفين لهم، وقتل أهل الإسلام، مع المكابرة ورد الحق، ما يجعلهم يُلحقون بهم حكماً، بل قد فاقوهم في صفات الغدر، والخيانة، ونقض العهود، وتضييع الأمانات.

قال صلى الله عليه وسلم: ((وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَشَّسَ مِنْ مُؤْمِنَهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدِ عَهْدِهِ فَإِنَّ مِنْهُ مَنِي وَلَسْتُ مِنْهُ)) رواه مسلم.

وقال: ((سيخرجُ في آخر الزمان قومٌ أحداهم الأستان، سُفهاءُ الأحلام، يقولونَ مِنْ خَيْرِ قولِ البريَّةِ، يقرئونَ القرآنَ لَا يُجاوزُ حنَاجِرَهُمْ، يمرقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يمرقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيُتُمُوهُمْ فاقتلوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا، لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) متفق عليه.

وقال فيهم: ((يقتلونَ أهلَ الإِسْلَامَ وَيَدْعُونَ أهلَ الْأُوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَذْرَكُهُمْ لَأَقْتَلَنَّهُمْ قُتْلَ عَادِ)) متفق عليه.
بل إنَّه - صلى الله عليه وسلم - عَدَ قتالهم شرَّ القتلى، وقتل المسلمين على أيديهم خير القتلى، فقال: ((طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ)) رواه أبو داود.

وقال: ((شُرُّ قَاتَلَ قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَاتِلِي مَنْ قُتِلُوا)) رواه أحمد.

وما أشبه حال هؤلاء بحال التمار الذين قال فيهم ابن تيمية - رحمه الله - في "الفتاوى": "وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أبي قبيل هو، فإنَّهم يُظْهِرُونَ الإِسْلَامَ وَلَيْسُوا بُغَاءً عَلَى الْإِمَامِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُنُوا فِي طَاعَتِهِ فِي وَقْتٍ ثُمَّ خَالَفُوهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ [أي ابن تيمية]: هُؤُلَاءِ مِنْ جِنْسِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلَيِّ وَمُعاوِيَةَ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنْهُمَا، وَهُؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَعْبُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا هُمْ مُتَنَبِّسُونَ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالظُّلُمِ".

ثالثاً: لا يمنع من قتالهم ما يوجد فيهم من عبادة أو طاعة أو جهاد، فقد أخبرنا رسول الله عن أوصاف الخوارج في العبادة حتى لا نغترَّ بهم فقال: ((لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ)) رواه مسلم.

وقال: ((يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ)) متفق عليه.

وقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - في وصفهم: "فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرْ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهادًا مِنْهُمْ، أَيْدِيهِمْ كَانَهَا ثَفِنْ إِلَيْلٍ [أي ركبها الغليظة]، وَوُجُوهُهُمْ مُلْعَمَةٌ مِنْ آثارِ السُّجُودِ" رواه عبد الرزاق في المصنف.

فمع شدة اجتهادهم في العبادة إلا أنَّهم وقعوا في بدع منكرة استحلوا بها الدماء والأموال.

رابعاً: يجب على المجاهدين عدم الخروج عن المنهج القويم في قتالهم، كالخش في سبهم، أو رميهم بالكفر، أو النفاق - وإن رموا هم مخالفهم بذلك - فالكفر حكم شرعي لا يجوز إطلاقه إلا بتحقق شروطه وانتفاء موانعه، ويكون ذلك من أهل العلم

الراسخين.

كما يحرم تجاوز الحد الم مشروع في قتالهم بالتعذيب، أو الإهانة، أو التعرض لمن لا يجوز قتاله من نسائهم وأطفالهم، وقد سبقت فتوى حول (حكم قتل نساء وأطفال الأعداء من باب المعاملة بالمثل) فكيف بال المسلمين المنحرفين؟ ولقتال هؤلاء أحكام خاصة ليس لها مكان بسطها.

خامساً: غاية قتال هذه الفئة أن ترجع عن بغيها وظلمها، وذلك بسحب إعلان دولتهم المزعومة، والكف عن تكبير الجماعات المجاهدة وقتالها، وإرجاع ما اغتصبته منها، والخضوع للمحاكم الشرعية المستقلة، والارتداد عن الأفعال الشنيعة حفاظاً على ادعائهما.

قال الطبرى - رحمة الله - في "تفسيره" لقوله تعالى: {فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَنْفِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ} : "فَإِنْ أَبْتَ إِحْدَى هَاتَيْنِ الْطَّائِفَيْنِ الْإِجَابَةَ إِلَىٰ حُكْمِ كِتَابِ اللَّهِ لَهُ وَعَلَيْهِ، وَتَعَدَّتْ مَا جَعَلَ اللَّهُ عَدْلًا بَيْنَ خَلْقِهِ، وَأَجَابَتِ الْأُخْرَىٰ مِنْهُمَا، {فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي} يَقُولُ: فَقَاتِلُوا الَّتِي تَعْتَدِي، وَتَأْبِي الْإِجَابَةَ إِلَىٰ حُكْمِ اللَّهِ {حَتَّىٰ تَنْفِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ} حَتَّىٰ تَرْجِعَ إِلَىٰ حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي حَكَمَ فِي كِتَابِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ".

سادساً: يجب على المجاهدين أن لا ينصرفوا إلى هذا القتال بكلّيتهم، فينشغلوا به عن قتال العصابات الباطنية والأحزاب الرافضية، مما خرج من سبيل الله، ولا تشکّلت هذه الكتائب والألوية إلا لاسقاط النظام النصيري الكافر الفاجر، فليقدر لكل أمر قدره.

كما يجب على العلماء وطلبة العلم مواجهة الغلو وكشف شبهات الغلاة، مهما تباينت أسماؤهم واختلفت أفكارهم، وحوار من انجرف إلى ذلك من الشباب بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فهذا واجب الوقت الذي لا ينبغي السكوت عنه؛ فخطر الغلو في الدين لا يقل عن خطر أنظمة الكفر والطغيان، قال ابن عساكر - رحمة الله - في "تاريخ دمشق": "ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض وقطعت السبل وقطع الحج من بيت الله الحرام وإذا لعاد أمر الإسلام جاهلية حتى يعود الناس يستغثثون برؤوس الجبال كما كانوا في الجاهلية".

وأخيراً:

نقول للأمة الإسلامية جماعة: إنَّ جهاد إخوانكم في سوريا بخير إن شاء الله، وإنَّ هذه المحن لن تزيده إلا تمايزاً في الصفوف، واتحاداً في الكلمة، فلا تقدعنَّ بكم هذه الأحداث عن الاستمرار في نصرة إخوانكم من المجاهدين الصادقين. والله دركم يا أهل الشام فقد اجتمع عليكم كل أهل الكفر والنفاق من الباطنية والرافضة، وأهل البغي والعدوان من الفرق الضالة، وأرادكم الله حرّباً لكل هؤلاء، والله معكم ولن يترككم أعمالكم.

اللهم انصر المجاهدين واحذر الكفارة المجرمين والمبتدعين الضاللين، ورد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً ، إنك على كل شيء قادر ، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين.

الأحد 16 ربيع الآخر 1435هـ

الموافق 16 شباط/فبراير 2014 م.

المصادر: